

## المديح الأول

أيها الأحباء، إننا نسمي هذه الصلاة "خدمة المديح الذي لا يجلس فيه"، نرفعها كإبتهاال للسيدة العذراء في أيام الصوم الأربعيني، وذلك لأن الذي يصوم يعتبر ويؤمن أن السيدة العذراء تشكل ركناً أساسياً يقوم عليه جهادنا الروحي الذي نقوم به.

ولهذا فإن جهادات كثيرة تترافق مع الصوم الذي نقوم به كالصلاة والإحسان وأفعال كثيرة وقراءة للكتاب المقدس، وكمثل هذه الوقفة التي وقفناها اليوم والتي يستطيع الإنسان أن يفقهها في أية لحظة من لحظات حياته، وخاصة في هذه الأيام. إننا نتذكر أن العذراء مريم بل صورة العذراء مريم، أيقونة العذراء مريم، العذراء التي أعطتنا الرب يسوع وتعطينا تلك النعمة وتلك القوة التي نجاهد بواسطتها في صيامنا ونسعى لأن نصل إلى يوم الفصح المجيد، هي مدرسة واسعة وجميلة لكل فضيلة. لقد سمعنا ونحن نمدح العذراء مريم: (إفرحي يا سماعاً رهيباً).

أريد أن أعلق قليلاً على هاتين الكلمتين.

إنّ السّماع مهم. أن يسمع الواحد منا كلمة الله فهذا أمر مهم جداً، وأن يسمع الواحد منا ماذا يريد الله منه أمر مهم جداً، ولكن ما معنى "أن يسمع"؟

ليس الأمر مجرد أن أسمع كلمة بأذني البشرية وأن تخترق هذه الكلمة أذني البشرية، بل لأية درجة أفهمها ولأية درجة يكون عقلي غير مشوّت، فأفهم وأدرك ما معنى هذه الكلمة، ولأية درجة تطير هذه الكلمة في الهواء من جديد وكأنها دخلت من أذن وخرجت من الأخرى ولم يتغير أي شيء.

(إفرحي يا سماعاً) : إنّ العذراء مريم مدرسة لنا في كيفية سماع كلمة الله، لأنها هي قد سمعت كلمة الله. أتى الملاك جبرائيل وبشّرها بالحبل، وهي سمعت وقالت (هاأنذا أمة للرب). لقد أنصتت للرب وأطاعت كلامه.

وأنت (أن تنصت) إذ أنه من الممكن أن تسمع أحداً يكلمك وتكون في ذهنك أفكار كثيرة، وفي هذه الحالة يكون هناك احتمالات:

إما أن تسمعه ظاهرياً وأنت في الحقيقة تسمع نفسك، وغن أردت أن تسمع لغيرك عليك أن تسكت. فإذا ما استمررت بالكلام فإنك لن تسمع كلمة الرب. إن سماع كلمة الرب يتطلب منك أن تصمت. ولهذا فإننا في الكتاب المقدس نفسه، والذي هو كلمة الله المقدس المكتوبة، عندما نقرأها نقول بأننا نفسرها، نحاول أن نستنبط من هذه الكلمات ماذا يريد هو أن يقول لنا، لا كيف نحن نريد أن نفهم وأن نفسر. نحن نريد أن نسمع وأن نصمت، وأنت لا يمكنك أن تسمع ذلك الصوت الحقيقي ما لم تصمت وتنصت بكل كيائك وبكل حواسك فتدخل كلمة الرب آنذاك فيك.

يقول (طوبى لمن يسمعون كلمة الرب ويحفظونها) لقد حفظت العذراء مريم الكلمة وهي كانت مثلاً لنا في كيفية حفظ كلمة الرب وجعل هذه الكلمة فاعلة فينا.

تذكروا قليلاً الإنجيل الذي تلي قبل قليل (أنتم أنقياء لأنكم سمعتم كلامي)

إذاً، لأنني صمّتُ وأصغيت سمعتُ كلمة الرب، وكلمة الله هي نقاء وهي نور وهي فرح، بها يستنير الإنسان ويصبح نقياً لأن تكون قد فعلت فيه.

لعلنا بشفاعة العذراء مريم، التي رفعنا لها هذا التسبيح الجميل في هذه الأسمية المباركة، وبشفاعة جميع القديسين، نتعلم أن نخضع لكلمة الرب ونسمع كلمته ونحفظها فيسكن الرب فينا ويكون صومنا مقبولاً ومباركاً يجعلنا من أبناء الملكوت، ونحن نحيا على هذه الأرض بنعمة الرب. آمين.